

كردبانين في مكتبة وثقافته

د. هيف عبد الرحمن الكردباني

صنفت حسب مصامينها كالنصوص القواعدية والدينية واللغوية^(١).

وفي بعض الاحيان كانت تحفظ الرقم داخل صناديق ذات أغطية مدون عليها من الخارج عناوين الرقم وفي بعضها الآخر وضعت بطاقة تعريفية بمصامينها. وكانت الرقم توضع في كوة داخل الجدران أيضاً. ولقد تم العثور في التنقيبات الاخيرة للمؤسسة العامة للآثار والتراث في بيت الكاهن في آشور على نصوص ادبية و معجمية، واللوح الرابع من قانون حمورابي داخل تلك الكوة، أما الجامع الكبيرة من الرقم فكانت تحفظ في أماكن خاصة سميت في اللغة السومرية «أي - دبا e-dub-ba» وفي الاكدية «bit:tuppi» وتعني (بيت الرقم) وهو الاسم نفسه الذي يطلق على المدرسة، ومهما يكن من أمر فإن الوثائق والعقود الرسمية الخاصة بالمعبد أو القصر، كانت تحفظ في مكان خاص ملحق بها ويقوم بأدائها مدير يكون من كبار موظفي الدولة^(٢).

ومن هنا يتضح لنا أن الوثائق الرسمية والقانونية كانت تحفظ في القصر أما النصوص المدرسية أو الخاصة بالطقوس والتراويل الدينية فكانت تحفظ في المعابد والمدارس حيث عثر على مجاميع منها في معبد «أي - زيدا» المكرس لعبادة الآله نايو (اله الكتابة والمعرفة) في مدينة نينوى وكذلك في معبد «نابو شخاري» في بابل. إذ أن الرقم حفظت في رفوف موازية

أصل كلمة مكتبة في المصادر المسارية :
إن الوثائق التي كان يراد لها أن تبقى محفوظة طويلاً ، كانت توضع داخل جرار فخارية وسلال معمولة من القصب والطين . وتعرف طريقة الحفظ هذه في اللغة السومرية بأسم « پيسان - دب pisan-dub »^(١) وفي اللغة الأكديّة عرفت بأسم « كركناكو girginakku » وربما يكون الاسم الذي اطلق على أمثال هذه الجرار الفخارية ، قد اطلق أيضاً على المكتبات التي تعرف بأسم « كركناكو »^(٢) .
أما مدير المكتبة فربما كان كاهناً يدعى « راب - كركناكي rab-girginakki »^(٣) حيث كان ذا مكانة خاصة في البلاط الآشوري . وتوجد تسمية أخرى لأسم مكتبة في اللغة الاكديّة هي « كركناك girginakk » وفي اللغة السومرية وردت تسمية المكتبة بصيغة «im-gu-la»^(٤) .

حفظ الوثائق :

كانت الرقم الطينية تحفظ في سلال معمولة من الطين والقصب ، وتوضع معها بطاقة تعريفية توضح مضامينها المختلفة ، وقد وجدت نماذج منها في (تل قوينيچق) في الموصل وتل حرمل (قرب بغداد الجديدة)^(٥) كما حفظت الرقم داخل جرار فخارية وقد عثر في كيش (تل الاحيمر) على جرار مكسورة مرتبة حول جدران بعض الغرف ، وفي داخل بعضها مجموعة من الرقم

AHW,p.2846.

(٤)

(٥) د. بهيجة خليل اسماعيل : «الكتابة» ، حضارة العراق ط ، بغداد ، ١٩٨٥ ص ٢٦٥ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٧) المصدر السابق ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(١) R.Labbat ,Manuel,Depigraphie Akkadienne ,paris, 1963,p.185.

op.cit.p.189.

(٢)

w.Budge ,Baby lonion life and history ,Lonton, 1925,p.200.

ولقد ضمت المكتبة الملكية في نينوى كل العلوم والآداب القديمة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر (الترانيم ، المعاجم اللغوية ، نصوص طبية وفلكية وتاريخية ووثائق إدارية) . أن الجامع الرئيسة وجدت في قصر سنحاريب وقد تركت خلال نهب مدينة نينوى عام ٦١٢ ق . م .

وهذه المجموعة من الرقم أصبحت مفتاحاً لكل عالم المعرفة القديمة وحجر الزاوية لعلم الآشوريات^(١٣) . كما لوحظ في آثار هذه المكتبة أن في نهاية بعض الألواح ، ما يشير إلى أنها تعود إلى مكتبة أخرى هي مكتبة « معبد نابو » بنينوى ، وبما تجدر الإشارة إليه هو أن آلاف الألواح ترجع في أصلها إلى مكتبتين كانتا في نينوى ، الأولى مكتبة آشوربانيبال وأكثرها مما جمعه هذا الملك أيام حكمه ، وأقلها مما ورثه عن أسلافه ، والمكتبة الثانية هي « مكتبة معبد نابو » غير أنه ضمت أحداها إلى الأخرى وجعلت في قصر هذا الملك^(١٤) .

وبذلك يمكن تقسيم الرقم التي عثر عليها في قوينجق إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - مجموعة قوينجق التي عثر عليها في قصر الملك سنحاريب .
- ٢ - المكتبة الملكية التي عثر عليها في قصر آشوربانيبال .
- ٣ - مكتبة معبد نابو في نينوى^(١٥) .

وبعد مرور سنة أو سنتين حصل هرمز رسام على نتيجة مشابهة في قصر آشوربانيبال بكشفه عن مكتبة هذا الملك ، إضافة إلى أنه تم الكشف في مكتبة معبد نابو على عدد جيد من قطع الرقم الطينية المتناثرة في داخله وقريباً منه^(١٦) .

أن مكتبة آشوربانيبال التي كشفها رسام في قصره إحتوت على رقم طينية كتبت بمختلف الأشكال والحجوم ، وقد رتبت الكبيرة منها في أفضل ترتيب وأغلبها ختم بالاختام الملكية . وبين هذه المجموعة وجدت رقم بابلية من إسطورة الخليقة والطوفان^(١٧) .

وتوصل رسام أيضاً إلى إكتشاف الرقم الذي تضمن النص الخاص بالطوفان في القصر الشمالي كما عثر الباحث سمث على

للجدران . وفي عقرقوف تم العثور على مجموعة من الرقم الطينية مصفوفة على الرفوف الواحدة بجانب الأخرى ، وبعضها موضوعة الواحدة فوق الأخرى ، وكانت مثل هذه الرفوف تغطي بحصير أو تغطي بطبقة من القار لمنع تسرب الرطوبة إلى الألواح . وعثر أيضاً في إحدى الغرف في سبار على صفوف من الرقم الطينية وضعت على رفوف وربطت معها بطاقة تعريفية بوساطة حبل مبروم معمول من بعض الألياف النباتية ، وهكذا الحال في الوركاء ونفروكيش وفارة وغيرها من المواقع التي ربما كانت مكتبة أو مركزاً لحفظ الوثائق^(١٨) .

مكتبة آشور بانيبال في نينوى : -

تعد خزانة (مكتبة) نينوى من أقدم خزائن كتب الملوك في العراق ، وأجلها شأنًا وأشملها موضوعاً ، عني بجمعها وتوسيعها الملك الآشوري آشور بانيبال وقد أودعها في عاصمته نينوى^(١٩) .

كان أول من نقب في موقع قوينجق القنصل الفرنسي في الموصل بول بوت عام ١٨٤٢ وفي عام ١٨٤٨ كان الموقع قد كشف وكان السير هنري لايارد يتراسل مع بوت عام ١٨٤٨ كان الموقع قد كشف ومخططات عن ذلك الموقع ولقد ساعد ذلك لايارد في الكشف عن قصر الملك الآشوري سنحاريب وفي أطلاله أمارط اللثام عن محتويات قيمة من المكتبة الملكية التي كانت محفوظة بتنظيم بالغ الدقة مدة ٢٤٠٠ سنة ، ولقد نقل الملك آشور بانيبال الكثير من الألواح من قصر جده سنحاريب وأبيه أسرحدون في نينوى ، ومن سائر البلاد المعروفة في ذلك الوقت ، حتى امتلأت قاعات المكتبة بالرقم التي بلغ عدد ما إكتشف منها أكثر من ٢٨ ألف رقم طيني ، حفظت جميعها في المتحف البريطاني ومتحف اللوفر^(٢٠) .

كان لايارد محظوظاً عندما عثر في قصر سنحاريب على قاعتين تؤدي أحداها إلى الأخرى ، حيث وجد فيها آلاف الرقم الطينية وعدداً كبيراً من كسرهما غطت أرضيتها إلى نحو أكثر من قدم فدعا هاتين القاعتين بدور السجلات^(٢١) . والقاعتان هما (XL = ٤٠) و (XLI = ٤١) من قصر سنحاريب في نينوى^(٢٢) .

(٨) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » حضارة العراق ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٦٨ .

(٩) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، طبع مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٤٨ .

(١٠) H-Layard, Nineveh and its ramnis, New York, 1849, PP.31-35.

(١١) H.Layard, Discoveries in the Ruins of Nineveh and Badylon, London, 1853, pp.344-345

(١٢) C.Thompson, "The British museum excavation in Neneveh" 1931-32, AAA, vol. XX, Liverpool, 1933, P-110.

(١٣) W.Gordon, Layard of Nineveh, London, 1963, p. 486.

(١٤) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٥٣ .

(١٥) C.Thompson, "The British museum excavation in Neneveh 1931-32" AAA, vol-XX, Liverpool, 1933, P-110.

(١٦) C-Thompson, "The British museum excavation in Nineveh 1931,32," AAA, vol. XX, Liverpool, 1933, P. 110.

(١٧) H.Rassam, Ashur and the Land of Nimrud, Lonaon, 1971, p.31.

المعرفة المختلفة إلا ان تلك المدونات كانت مشتته في القصور والمعابد في مختلف مدد العراق القديم ، ولم يتسن جمعها بشكل منظم الا في عهد الملك آشوربانيبال الذي نجح في أن يكون منها مكتبته الشهيرة في نينوى^(٢٣) .

قام ملوك العراق القدامى بتشجيع وبعث العلوم والفنون والآداب وأخذوا يبعثون بكتابتهم الخصوصيين الذين أخذوا يجوبون البلاد وذلك لغرض جمع كل النصوص المهمة الموجودة في المعابد^(٢٤) . ومن المهم ذكره أيضاً أن الألواح الطينية التي عثر عليها لا يارد خلال تنقيباته في تل قوينجق (نينوى) تعود الى مكتبة نينوى ، أما تلك التي عثر عليها هرمرز رسام فهي تعود الى مكتبة الملك الخاصة أي (مكتبة) آشوربانيبال^(٢٥) .

وحالما تصل الرقم الطينية الى العاصمة الآشورية كان يجري استنساخها بالخط المساري الدقيق الذي تتصف به هذه المرحلة ، إلا أن عدداً من النصوص جرى استنساخه بالنص حرفياً وكثيراً ما تصادف نصوصاً تتخللها فراغات لجمل او كلمات تعذرت قراءتها في النص الاصيل ، مما حدا بالمستنسخ الى اضافة تعليقاته الخاصة اليها أو تذييل هامشها بعبارة « ال ادي » (لم أفهم) أو « خيولابيرو » (كسر قديم) وفي بعض الاحيان لم يكن الكاتب يستنسخ النص على الرقم الطينية بل على سطح من الشمع المنشور فوق ألواح خشبية أو عاجية يجري ربط عدة ألواح منها لتشكيل معاً قطعة واحدة قابلة للطي ما يشبه الكتاب^(٢٦) .

• وكان يجري عادة حفظ الوثائق ذات المضامين المختلفة والرسائل في الجرار أو السلال الممولة من الطين والقصب إلا أن النصوص المكتوبة تبدو وكأنها قد رتبت على رفوف خاصة بها ، ولأنها وجدت متناثرة على أرضيات المباني المحرقة لذلك نجد صعوبة تامة في فهم طريقة التصنيف المطبقة عليها ومع ذلك يمكن التعرف على الرقم العائدة الى المجموعة نفسها حيث كان يجري ترقيمها أو اختتامها بسطر تابع يذكر الجملة الاولى للرقم التالي مثال ذلك أننا نجد أن الرقم الثالث لـ « أينما أيلش » (قصة الخليقة) ينتهي بهذه الجملة : « وأقاموا له غرفة أميرية » والتي يستهل بها نص الرقم الرابع للاسطورة نفسها وكما نرى أن الرقم

رقم فيه « تحذيرات الى الملوك أزاء ظلمهم » وكذلك على بعض الرقم من ملحمة كلكامش وزهاء (٣٠٠٠) كسرة من رقم أخرى في القاعات حول « قاعدة المكتبة » التي إكتشفها لا يارد في قصر سنحاريب أضافة الى العثور على رقم يتضمن نص فال على عمق ٢٥ قدم أسفل السطح ليس بعيداً عن الحافة الشمالية الغربية لمعبد عشتار في نينوى وذلك عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠^(٢٨) .

ولدى قيام المختصين بالدراسات اللغوية بدراسة مجاميع من هذه الرقم الطينية وجدوا أنها يمكن أن تصنف الى مجموعتين تشتمل أولهما على « الوثائق الارشيفية » مثل الرسائل والعقود الاقتصادية والنصوص التاريخية ، ويتألف القسم الثاني من « الوثائق الملكية » المتضمنة مواضيع أدبية ودينية وعلمية ويشكل القسم الأخير الجزء الاهم من المجموعة الملكية وتزداد أهميته عندما نعلم أن العديد من تلك الوثائق هو في الحقيقة نسخ لرقم سامرية وبابلية جرى استنساخها في نينوى بناء على طلب الملك آشوري آشوربانيبال وأمر منه^(٢٩) .

أن أقدم الملوك الآشوريين الذين سعوا الى تكوين مكتبة للرقم خاصة بهم ، هو الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م) فقد عثر على الواح كتبت في عهده وعليها ختم مكتبته^(٣٠) . ومن الجدير بالذكر أن الملك الآشوري سنحاريب قد أضاف الى مكتبة أبيه عدداً من الرقم . وكذلك فعل أسرحدون إذ اضاف الى محتوياتها نصوصاً تمثل الثقافة القديمة ولا سيما الآشورية منها ، إلا أن آشور بانيبال الملك المحارب المثقف قد عززها وخصص لها جناحاً ضخماً من قصره الفخم وبعث بالرسائل للبحث عن الوثائق والسجلات وآداب الثقافات التي سبقت عصره^(٣١) .

ولقد نجح هذا الملك في أن يجمع لنفسه مكتبة ضخمة ، وكان من فرط أهتاه ورعايته للثقافة والعلم أن بعث بنساخه الى مراكز العلم والأدب في زمنه كبابل وبورسبا وأكد وكوثي ونفر وآشور وغيرها فنسخوا له كل التأليف المهمة وجمعوا له أشات العلم ودونوها وحفظوها في مكتبته^(٣٢) .

أن أغلب الملوك والحكام دونوا أعمالهم وسنوات حكمهم في سجلات عدت مصادر لتأريخ العراق القديم ، كما عنوا بمجلات

Libraries," Jaos, Vol. XXvii, U.S.A, 1906, p.148.

(٢٣) د . طارق مظلوم ومحمد علي مهدي : نينوى ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٤١ .

(٢٤) ادورد كيرا : كتبوا على الطين ، ترجمة : محمود الأمين ، بغداد ، ١٩٦٤ ص ١٧١ - ١٧٤ .

W.Budge, the rise and Progress of Assyriology, (٢٥) London, 1925, p.82.

(٢٦) جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

C. Thompson, op. cit. PP. 110-111.

(١٨)

١٩ جورج رو : العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٤٧٥ .

A.T.Olmstead, History of Assyria, London, (٢٠) 1960, P. 270.

British museum, A Guide to the Babylonian and (٢١) Assyrian Aniquites, London, 1908, P-39.

M.Jastrow, "Did Babylonian temples have (٢٢)

الحادي عشر للنسخة الآشورية للمحمة كلكامش ينتهي بالخاتمة التالية :

« الرقم الحادي عشر لـ « هو الذي رأى كل شيء » مجموعة كلكامش ، كتبت طبق الأصل ودققت ، قصر آشوربانيبال ، ملك الكون ، ملك الآشوريين » (٢٧) .

ومن غير المحتمل أن يكون الملك آشوربانيبال قد استخدم مكتبته لانه قليلاً ما كان يتوفر له الوقت أو تملكه الرغبة في مطالعة الآلاف من الرقم الجمعية وفق أوامره بسبب سعة الامبراطورية الآشورية وأنشغاله في ادارة شؤونها المختلفة ، حتى وان كان قد قام فعلاً بـ « فك رموز الاحجار العائدة الى ما قبل الطوفان » لأدخال البهجة الى نفسه أو بقراءة « قصص الملاحم العظيمة لكلكامش واتانا وأدباً » ولابد لمكتبة القصر من أن تكون مفتوحة أمام كتبة البلاط والمعابد حيث كان بوسعهم التزود من المصادر المدونة التي كانوا يبتغونها وربما كانت المكتبة جزءاً من « أكاديمية » (بيت هومي - بيت المعرفة) في تل حرم من النوع الذي ازدهر في مدن عديدة وفي عصور مختلفة ، أسست لجذب وجمع علماء وادي الرافدين (٢٨) .

ومن المؤسسات المالية الخاصة بالجمع والتأليف خزانات الكتب التي يسمونها بيت الألواح أو الرقم « أي - دبا » في السومرية ودور السجلات لحفظ الوثائق وكان للمعابد الشهيرة مؤسسات مثل هذه ملحقة بها وكذلك كان لقصور الملوك مثل خزانة الكتب الملكية التي وجدت في قصر الملك الآشوري آشوربانيبال (٢٩) .

وكانت مكتبة آشوربانيبال تضم بين ثناياها كثيراً مما عرفه البشر من أفانين العلم والأدب والدين وفيها مصنفات في التاريخ والاعبار والرسائل والسحر والصرف والنحو والأدب والشعر والقانون والتنجيم والفلك والجغرافية والتأريخ الطبيعي والصلوات والطقوس والاساطير والقصص ، قصص الخليفة والطوفان . ويمكن القول : إن هذه المكتبة تعد بحق « دائرة معارف » متكاملة تجوي أهم ما توصل اليه الأقدمون في حقول المعرفة البابلية - الآشورية (٣٠) .

وما لاشك فيه أن مكتبة آشوربانيبال تشهد على وجود

مدرسة معبد نشيطة معالة مرتبطة بمعبد مردوخ في بابل أو مدارس تابعة للمعابد في بلاد بابل ، إذ اخذت منذ ذلك الوقت تصدر عن بابل نصوصاً كثيرة وهي عبارة عن الواح تحتوي على تمارين وتعليقات اعدت لترجمة وتفسير تلك النصوص . ولقد وجدت في المكتبة الملكية بأعداد كبيرة ، منها جملة كتابات تتضمن القواميس والمعاجم والتأليف النحوية في التصريف وغيره ، وكذلك الكتب المدرسية ، وهذه لم تكن آشورية في أصولها بل ينبغي لها أن تكون قد استنسخت من نصوص كانت محفوظة في مدارس المعابد في بلاد بابل (٣١) .

يقول برستد (أن مكتبة آشوربانيبال تُعد في الحقيقة ، أول مكتبة منظمة وجدت في آسيا وقد اشتملت على مواضيع مختلفة ما بين دينية وعلمية وأدبية ، جمعت ونسقت بأمر الملك ولقد فاق الآشوريون البابليين في مضمار جمعهم للعلوم والآداب ولم يكونوا فقط مجرد نقلٍ عنهم (٣٢) . أن المدارس في بابل كانت المصادر الرئيسة ، التي جمع منها الكتبة الآشوريون مادتهم ومعلوماتهم وهكذا يكون ما وجد في هذه المكتبة من قوائم عديدة بأسماء الالهة والمواد بشرى أنواعها واسماء البلدان والمدن والجبال والانهار والطيور والنباتات ... الخ تلك القوائم التي عثر عليها من بين النصوص الموجودة في هذه المكتبة ، إنما يعود للنوع السابق نفسه وكذلك المجموعات الكبيرة من النصوص الطقوسية والتوضيحات المفصلة للشعائر المعقدة ، التي لها علاقة بالخطيئة والقرابين التي تطهر الذنوب ويظهر من هذه النصوص أنها كانت قد اعدت لتعليم تلاميذ المعبد أكثر من أنها استخدمت كتباً يسترشد بها الكهنة وهكذا يجب أن ترجع في اصولها - الى أنها لم يؤلفها معلمون آشوريون - لمدارس المعابد في جنوب وادي الرافدين ، وكذلك بالنسبة للعدد الكبير من النصوص التي تشير الى أنها مقتبسات أو نسخ غير كاملة أو أنها تحمل أسم (نسخو Nishu) اذ يبدو أنها كانت تطبق في النسخة المدرسية للنص (٣٣) .

وما لاشك فيه أن المراكز البابلية هي المصدر الرئيس الذي زود مكتبة آشوربانيبال بالنسخ ونستطيع أن نكون فكرة عن هذا ، وذلك عندما نلاحظ أن كثيراً من التراتيل والرقى والنصوص التنجيمية وحتى الطبية هي تمارين مدرسية أو أنها

(٣١) M.Jastrav, "Did the Babylonian temples have Libraries", JAOS

vol-XXVII, U.S.A, 1906, P.180.

(٣٢) جيمس برستد : العصور القديمة ، ترجمة : داود قربان ، بيروت ، ١٩٢٦ ، ص ١٢٢ .

(٣٣) M.Jastrav, "Did the Babylonian temples have Libraries", JAOS, vol.XXVII. U.S.A, 1906, pp.180-81.

(٢٧) طه باقر : ملحمة كلكامش ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ .

جورج رو : المصدر السابق ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٢٨) جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٢٩) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٣١٣ .

(٣٠) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، ١٩٤٨ ، ص ٥٠ .

جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٩ .

لذلك كان الملك حمورابي قد أمر بلمنساخ نسخة جديدة لها «^(٤٠)»
ولابد لنا من الإشارة الى أن استعارة الرقم من المكتبات
كان مألوفاً عند العراقيين القدماء ، حيث كان سابقاً يسجل على
رقم صغير اسم النص المعار ، واسم الشخص الذي إستعاره أو
تكتب إشارة على الرقم نفسه تمت إستعارة هذا الرقم من قبل
الشخص الفلاني . ولقد عثر على رقم في مدينة الوركاء يحمل
الملاحظة التالية : لقد تمت إستعارة النسخة الثانية لأحد الرقم
من قبل الملك سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) وتمت
إعادته «^(٤١)» .

ومما لاشك فيه أن الكتاب كانوا ينفذون الاوامر الملكية
بكل جد ومثابرة وهذا ما كشف عنه فعلاً في أطلال نينوى
حيث عثر على كتابات كثيرة من هذه المكتبة ، وان العمل الذي
يقام به هؤلاء الملوك الاشوريون المتأخرون كان أكثر من جمع
وإستنساخ المواد والكتابات المتي وجدت في المكتبات القديمة أو
أنهم بعد أن إستنسخوا النصوص المكتوبة باللغة السومرية شرعوا
بمهمة إعادة ترجمة مادة كل هذه المجموعة الى لغتهم المحلية وان
القصص السومرية القديمة نشرها على حالها كما وجدت ولكنهم
أدخلوا بين سطورها ترجمة باللغة الاشورية وهذه العملية بالطبع
يتطلب إنجازها مدة كبيرة من الوقت الى جانب عدد كبير من
الكتاب والادباء والمثقفين وان البلاطات الملكية كانت في تلك
الازمان مراكز حضارية وثقافية مهمة كذلك التي قامت برعاية
العلوم في عصر النهضة من القرون الوسطى ومع أن نظام التعليم
لديهم كان متطوراً إلا أن المترجمين كانوا يلاقون صعوبة في
تفسير النصوص القديمة ذلك لأن اللغة التي هم بصدد ترجمة
نصوصها كانت قد ماتت قبل أكثر من ألف سنة «^(٤٢)» .

ان المكتبة الوحيدة المعروفة الان معرفة تامة هي مكتبة
أشور بانيبال التي وجدت خلال التنقيبات في العراق ولقد وضع
الادباء في حوزتها عدداً كبيراً من النصوص المدونة بلغتين إذ
ساعدت هذه على تفسير اللغة السومرية نظراً لوجود الاشورية الى
جانباها . ومما تجدر الإشارة اليه في هذا الصدد ان تأسيس
المكتبات لم يكن من مميزات العصر الاشوري الحديث . وأنه لمن
الصعب حقاً أن نقول : ان المكتبات الاشورية كانت مفتوحة
للجمهور أو غير مفتوحة ويجوز ان يكون الاشوريين قد فعلوا
ذلك «^(٤٣)» .

تؤلف جزءاً من مجموعات المدرسة وهي بذلك تعد من لوازم
مدرسة المعبد أكثر مما تعود الى مخزن اللواح في المعبد «^(٤٤)» .
ان آشور بانيبال يعد بحق أول ملك آشوري إهتم بالعلم
والثقافة كما إهتم بالحرب والرياضة وبهذا يصح أن نطلق عليه
إسم الملك المحارب المثقف «^(٤٥)» .
ان ملوك آشور كانوا متعاطشين للثقافة ، وانهم قد أشرفوا
بانفسهم على عملية بحث واسعة النطاق عن النصوص القديمة لاسيما
بحوث البلدان ذات الحضارة الراقية كبلاد بابل وسومر
وأكد «^(٤٦)» .

ولقد ورد في رسالة من أحد الملوك وربما يكون آشور بانيبال
نفسه الى شخص يدعى «شادونو» تتضمن ما يأتي :
« كلمة الملك الى (شادونو Shadunu) أحوالي جيدة وأرجو
أن تكون بخير فعندما تتسلم هذه الرسالة ، خذ معك هؤلاء
الاشخاص الثلاثة (أسماؤهم مذكورة) وكذلك الاشخاص المتصلعين
في مدينة بورسيا . ثم أبحث عن جميع الرقم ولاسيما تلك الموجودة
في بيوتهم وجميع تلك التي أودعت في معبد أيزيدا وأجمعوا
لي اللواح الثمينة التي هي موجودة في خزانات كتبكم والتي
لا توجد في بلاد آشور وارسلوها لي . ولقد كتبت الى الموظفين
والمراقبين وسوف لن يمتنع أي شخص من إعطائكم أي لوح
تريدونه ، وعندما يقع نظرك على لوح أو مدونة أخرى ، كتب
عليها نص طقوسي مما لم يسبق ان كتبت لك عنه وتعتقد أنه
مفيد ، ليكون في قصري ، أبحث عنه ، التقطه وابعثه لي » «^(٤٧)» .
ورد في رسالة أخرى من أحد الكتبة معنونة الى الملك آشور
بانيبال يقول فيها الكاتب :

« سنسير على تعليماتكم الموجهة الينا ، بخصوص جمع الرقم
المدونة باللغة السومرية » «^(٤٨)»
ورسالة أخرى فيها تعليمات صادرة من الملك الى أحد
موظفيه :
« أجلب الرقم الذي فيه تعليمات رسمية من ملك بابل الى
مدينة بورسيا » «^(٤٩)»
وهناك رسالة أخرى أيضاً موجهة من أحد الكتبة الى الملك
يذكر فيها :
« حسب أوامركم سوف أجلب الرقم الطيني الخاص بالملك
حمورابي ، علماً بأن النسخة الاصلية لهذا الرقم كانت قد تلفت ،

(٣٤) M.Jastraw, JAOS, ibid, pp-180-81.

(٣٥) N.Guby, the road to Nineveh, London, 1965, p.245.

(٣٦) جورج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٣٧) ادور وكيرا : كتبوا على الطين (مترجم) ص ١٨٩ .

L.Waterman, RCAE, p. 213.

(٣٨) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » حضارة العراق ج ١ ،

بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٦٩ .

(٣٩) المصدر السابق ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٤٠) د . بهيجة خليل اسماعيل : « الكتابة » ، حضارة العراق ج ١ ،

بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٠ .

(٤١) المصدر السابق ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٤٢) ادور وكيرا : كتبوا على الطين (مترجم) ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٤٣) المصدر السابق ص ١٩٠ - ١٩١ .

أن الملك الاشوري آشور بانيبال كثيراً ما نجده يفتخر ويعتز بمعرفته التامة بالكتابة السامرية وهذا يدل على أن هذا الملك كان ذا ذوق أدبي رفيع واصل وكان أيضاً متحمساً للحفاظ على كل علوم ومعارف عصره وهذا مما قاده الى ان يبني في قصره بمدينة نينوى المكتبة التي تحمل اسمه ومع ذلك لم يكن آشور بانيبال الملك الوحيد الذي أدرك فكرة تكوين مجموعة من الألواح تشمل على جميع فروع المعرفة (أي تأسيس مكتبة) إذ سبقه في إدخال هذه الفكرة كثيرون ومنهم سرجون الثاني مؤسس السلالة الحاكمة ولكن عمل آشور بانيبال هو الذي أتم المهمة بنجاح ووسع مجالها بطريقة لم يسبق لها مثيل^(٤٤).

ان الكثير من المؤلفات في فروع العلم والمعرفة قد نقلت كما هي من المكتبات البابلية القديمة، إذ انكب علماء البلاط الاشوري على استنساخ ألواحها بالكتابة الآشورية مع اضافة بعض التذييلات لها واحتفظ بالنسخ المنقولة عن الاصل في قصر الملك آشور بانيبال^(٤٥).

أن معظم الرقم الطينية التي ضمتها المكتبة كانت قد جمعت من مصادر ومدن مختلفة والكثير منها لم يعد الى مكانه الاصيل والدليل على ذلك هو الهوامش المذيلة ببعض أسماء الكتب والذي يعرف بالمصطلح اللغوي (الكولوفوت) والتي تحمل نسب الكاتب وأحياناً ألقابه أيضاً.

ووجد في مكتبة نينوى نوع من التصنيف للرقم الطينية يدعى بالتصنيف الملكي حيث خصصت أماكن للألواح الهامة فوق أبواب المداخل ونقشت قائمة بالمحتويات بحسب ترتيبها على الرفوف، أو في أوعية أو صناديق فخارية أو جرار كبيرة^(٤٦). إن أساليب الختم والفهرسة التي استعملت في هذه المكتبة كانت متقدمة على الأساليب الماثلة التي استعملت في المكتبات المصرية والحثية، إذ أن الرقم الطينية رتبت بحسب موضوعاتها التي تكتب عادة أما في الزاوية العليا للرقم، أو على بطاقات تعريفية منفصلة توضع على الرفوف^(٤٧).

وما تجدر الإشارة اليه في صدد مكتبة آشور بانيبال هو أن فهارسها والتواقيع التي على ألواحها وختم المكتبة واسم صاحبها وبعض الملاحظات الاخرى مما عثر عليها في هذه المكتبة، بينما كانت المكتبات الاخرى سواء أكانت حكومية أم مكتبات معابد

خالية من هذه الامور^(٤٨).

لسنا بحاجة الى إعادة وصف الألواح والمؤلفات المطولة وكيف أنها كانت ترقم، ولكن ماحتاجه هو أن نضيف الى القول أن العالم القديم - كما نجد في الوقت الحاضر - قد عرف ذلك النوع من البشر الذي لا يستطيع أن يقيم أغناء مكتبته على حساب أنبائهم الآخر، ولقد اتخذت مثل هذه الاحتياطات وأشهرها كان يتمثل بوضع الألواح تحت حماية الاله كما قيل عن بعض الألواح السابقة للعصر الآشوري بأنها تحمل اللعنة على كل من يعامل الألواح معاملة سيئة ولا يرجعها الى محفظاتها أو يسرقها أو يزورها أو يحرق في نصوصها وفي ذلك إشارة واضحة لنظام الاستعارة الذي كان سائداً في المكتبات القديمة^(٤٩).

والواقع أن محتويات مكتبة آشور بانيبال هي أقل بقليل من أن تكون تاريخاً أدبياً مختصراً لهذا العهد المشرق من حكم السلالة السرجونية، أن الانجاز الرئيس لهذا العهد مثله كمثل العهود السابقة يتمثل في أن تزدهر الأماكن الكافية من قبل كما حرص آشور بانيبال على عدم إدخال التغييرات الأساسية^(٥٠).

ويبدو أن آشور بانيبال قد ضم الى مكتبته الخاصة ماكان لدى أشخاص معينين من كتب والواح وهذه الطريقة نلاحظ أن مجموعته كانت تتألف من عدد كبير من الألواح كانت تحمل العبارات الآتية :

نابو - زقب - كين Nabu-Zuqub-ken، وهذا ابن الكاتب (مردوخ - شم - أقيش Marduk-sum-iqis) الذي هو سليل الكاتب الاكبر المدعو (أكبي - أيلاني - إيرش Gabbi-ilani-ères)، وإن نابو - زقب - كين هذا كان والداً للشخص المدعو (عشتار - شم - إيرش)

الذي كان المشاور الاكبر في عهد أسرحدون وآشوربانيبال وكان يسكن في مدينة النمرود تحت حكم مرجون الثاني وابنه سنحاريب وإن جده الاول المدعو (كبي - أيلاني - إيرش) عمل كاتباً أكبر للملك آشور ناصر بال الثاني وإن جميع الألواح العائدة لهذه العائلة المثقفة خازنها آشوربانيبال من (عشتار - شم - إيرش) ولربما كان هذا الشخص قد عينه الملك لإدارة مؤسسته الجديدة - أي بعبارة أخرى - كان أول مدير عام لمكتبة ملكية في نينوى على الرغم من أن هذا المنصب كان في الحقيقة موجوداً^(٥١).

(٤٨) كوركيس عواد: خزائن الكتب القديمة في العراق. بغداد، ١٩٤٨. ص ٥٣ - ٥٤.

(٤٩) جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور (مترجم) ص ٣٢١.

(٥٠) المصدر السابق ص ٣٢١.

(٥١) عبدالهادي الفوايدي: دور الثقافة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة. بغداد، ١٩٦١. ص ١٤٩.

(٤٤) جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور. ترجمة: سليم طه وبرهان عبد. بغداد، ١٩٧٩. ص ٣٢٠.

(٤٥) R.W.Rogers, A history of Babylonia and Assyria, Vol.2, New York, 1900. P.279

(٤٦) فؤاد قزانجي: "مكتبات وادي الرافدين". مجلة الجامعة المستنصرية، عدد ٣، بغداد، ١٩٧٢، ص ٤٥٤.

(٤٧) المصدر السابق، ص ٤٥٥.

وفي الآونة الأخيرة تم العثور على مكتبة أخرى في موقع سبار (أبو حبة) في منطقة اليوسفية تضمنت العديد من النصوص المسماة التي وضحت الدراسة الأولية لها ، أنها تضم نصوصاً لكتابات ملكية ونصوصاً في الرياضيات والفلك ومعاجم لغوية ومستوضح محتويات هذه الرقم في المستقبل بعد أن تتم دراستها بشكل متكامل وبذلك تُعد هذه المكتبة أقدم من مكتبة آشور بانيبال في نينوى .

خزانات الألواح :

١) أما الصنف الثاني من المؤسسات التي كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمدارس والمعابد أيضاً ، فهي ما تسمى « خزانات الألواح » (الارشيفات) التي كانت تعرف بأسم « أي - دب - با e-dub-ba » ومعناها (بيت الألواح) ويستعمل هذا المصطلح أيضاً ليؤدي معنى المدرسة وكذلك عرفت أيضاً بأسم « أي - كيشبا e-kisiba » ومعناها (بيت الاختام) ولقد وضع سكان العراق القدماء هذه البيوت تحت حاية الاله (خاني hani) (٥٢) الذي كان يمثل على الأرض (حامي خزانات الألواح) وتعني باللغة السومرية «pisan-dubba» (٥٣).

إن المعابد الكبيرة تحتاج في أعمالها الى فهارس واسعة وقوائم ومستنسخات وكانت تجمع هذه الوثائق والفهارس وكل السجلات المتعلقة بشؤون المعبد ، كقوائم أملاك المعبد وحاصلاته ووارداته وتوضع في خزانة خاصة لحفظ هذه الألواح اضافة الى ذلك كانت تحفظ فيها المراسلات الملكية مع الملوك الاجانب وجداول الضرائب والقرارات القضائية والوثائق الرسمية المختلفة . (٥٤) ومثال على ذلك أننا وجدنا أن الملوك الآشوريين كانوا قد بعثوا بتقارير موسعة عن حملاتهم العسكرية الى معبد الاله آشور في مدينة آشور (٥٥) . ومنهم الملك سرجون الثاني الذي بعث برسالة مفصلة عن نتائج حملته الثامنة الى معبد آشور (٥٦).

وربما كان الكاهن خازناً لكتب المعبد ومن واجباته العناية بحفظ الألواح والاستعاضة عن الألواح القديمة المهشمة أو ذات الكتابة غير الواضحة بأخرى جديدة ذات كتابة سليمة واضحة مثلاً هو واجب مدير المكتبة في الوقت الحاضر (٥٧) . لم تقتصر خزانات الألواح على تلك التي كانت ملحقة بالمعابد أو المدارس بل نجد أن الحكومة كانت هي الأخرى تمتلك (خزانات للألواح حيث كانت تضع فيها الوثائق والمستندات السياسية والشخصية ولقد عثر في نينوى في مكتبة آشور بانيبال على كتابات ووثائق كثيرة : مثل عقود رسمية ورسائل ووثائق قانونية وهي تشير الى حقيقة أنها لم تأت من المكتبة الملكية ولكنها بالاحرى تعود الى خزانات الألواح الرسمية الآشورية (٥٨) .

إن كهنة كل معبد كانوا ملزمين بالحفاظ على الشعائر الدينية وكانوا يقومون بالحفاظ على الكتب الطقوسية ، فمن ذلك مثلاً أن عهد الى كتيبة كل معبد تدوين التفاصيل الضرورية وذلك للحفاظ على الشعائر الدينية من جيل لآخر ، كالترانيل والصلوات والرقى ومجموعة النصوص المتعلقة بالفأل وكانت أيضاً ملاحظتها التي تحس مباشرة الطقوس والمعتقدات المتداولة والاساطير والقصص الدينية تحفظ في خزانات الألواح بكل معبد (٥٩) .

وكانت حينذاك مجموعات من المدونات الرسمية والنصوص الدينية والقطع الأدبية والتاريخية وما يتعلق بالحياة اليومية ، من بيع وشراء وما الى ذلك ، تجمع في مواضع معلومة من « المعابد » و « القصور الملكية » وبعض دور الخاصة ويطلق عليها « دور السجلات » أو « بيوت الرقم » وكان أمر الثقافة عند البابليين منوطاً بالكهنة الذين يستمدون عملهم من نابو مبتدع الكتابة والرسائل وصنوف المعرفة وسيد « بيوت الألواح » (أي الكتب) والمراد بذلك « خزائن الكتب » ويحتوي

(٥٢) الاله خاني : وهو اله من أصل حثي وربما أصلاً من بلادواي الرافدين وقد سلبه الحثيون عند استيلائهم على بابل عام ١٥٩٠ ق . م في عهد حكم موريسيلس الأول واتخذوه الها لهم . المصدر : جروج رو : العراق القديم (مترجم) ص ٣٤٢ . E.A.Sturte Vant, Ahittite Clossary, philadelphia, 1936,P.41.

J.Friedrich, Hethitishes wortrbuch, HEIELBERG, RLA, Band 4,p.10. 1952, p-50.

A.Deimel, panitheaon Babyonicum,Romae,1914,p-130.

(٥٣) عبد الهادي الفؤادي : دور الثقافة في العراق القديم . رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٦١ . ص ١٥٠

(٥٤) W.Budge, Babylonian life and history, london, 1925,pp,199-200

٢٤٢

(٥٥) عبد الهادي الفؤادي : المصدر السابق ص ١٥٠

(٥٦) د . فاروق الراوي : « العلوم والمعارف » ، حضارة العراق ج١ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٦ .

(٥٧) W.Budge ,Babylonian life and history, London, 1925,pp-200-201.

(٥٨) عبد الهادي الفؤادي : دور الثقافة في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١٥١ .

(٥٩) M-Jastrav, The Civilization of Babylnia and Assyria, London, 1915,p.276.

(٦٠) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، ١٩٤٨ . ص ٤٢ .

(٦١) كركير : من الواح سومر . ترجمة : طه باقر . بغداد ، بدون سنة طبع . ص ١٧١ .

وهو صغير الحجم لا يتجاوز طوله (١٢,٥ أنج - بوصة) وعرضه (١ ¼ أنج - بوصة) وهو في حالة سليمة من الحفظ وكامل تقريباً مع صغر حجمه أستطاع الكاتب أن يقسم كل جانب منه الى حقلين ، ويستعمل خطأً دقيقاً لكي يفهرس عناوين اثنين وستين عنواناً من التأليف الأدبية في هذا اللوح الصغير^(٦١).

ويوجد في متحف جامعة بنسلفانيا لوح يمثل فهرس كتب قديم